

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ٠٢٩ : ابتلاء الإنسان منذ خلقه .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٩-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الابتلاء :

الإنسان بنص القرآن الكريم جيء به إلى الدنيا ليبتلى ، بنص الأدلة :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

[سورة هود الآية : ٧]

لكن الملمح الدقيق في هذه الآية ، أن الابتلاء لا من أجل فرز الناجحين عن الراسبين من أجل ترتيب الناجحين فقط ، هكذا الآية :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾



الابتلاء من أجل ترتيب الناجحين

يعني ليس من المتوقع ، ولا من المعقول ، أن يأتي الإنسان إلى الدنيا ، ويرى هذا الكون العظيم مسخر له ، وتأتيه الرسل والأدلة والبيانات ، ثم لا يستقيم إلى أمر الله ، حالة لا يمكن أن تكون ، وقد كانت ، كون هذا الكون الثابت الأول ، هذا الكون ينطق بثلاثة أشياء بوجود الله وبوحدانيته ، وبكماله ، أي شيء في الكون مسخر لنا .

الكون مسخر للإنسان تسخير تعريفي وتكريمي .

قال تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾

[سور الجاثية الآية : ١٣]

العلماء قالوا : تسخير تعريفي وتسخير تكريم ، مسخر لنا كي نعرف الله من خلاله لأنه الله عز وجل :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

[سور الأنعام الآية : ١٠٣]

ولكن العقول ولا تصل إليه ، ولا تحيط به ، هذا الكون مسخر تسخير تعريفي ، موقف الإنسان من تسخير التعريف أن يؤمن ، وموقف الإنسان من تسخير التكريم أن يشكر ، فإذا آمن أو شكر حقق الهدف من وجوده ، فإذا حقق الهدف من وجوده توقفت كل أنواع المعالجات ، الدليل :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[سور النساء الآية : ١٤٧]



موقفك من تسخير التعريف أن تؤمن ،
وموقفك من تسخير التكريم أن تشكر
فإذا آمنت وشكرت حققت علة وجودك ،
فإذا حققت علة وجودك توقفت كل
المصائب والمعالجات ، والآية الدقيقة :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ

وَأَمَّنْتُمْ ﴾

يعني عذاب للعذاب ؟ هذا مستحيل ، هذا العذاب للعذاب يتناقض مع وجود الله ، أما في عذاب وما
أكثره ، وما أكثر أنواعه ، هذا العذاب من أجل أن نعود إلى الله .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ . فِي الدُّنْيَا . دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ . فِي الْآخِرَةِ . لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سور السجدة الآية : ٢١]

أخوانا الكرام ؛ القرآن يعطيك قواعد مريحة ، أنت بحاجة إلى تفسير عميق دقيق للكون وللحياة ،
والإنسان ، والقرآن قدم لك هذا التفسير ، العميق ، والدقيق ، والشمولي للحياة والإنسان فالمؤمن
يتمتع بنعم والله لا تقدر بثمن ، يعرف حالو إنسان مخلوق للجنة .

قصة عن السعادة :

مرة أذكر كنت في جلسة فيها أربعين شخص ، يبدو أنه في واحد علماني أو ملحد تقول أن المؤمن
سعيد ، لا ما لو سعيد ، هكذا قال لي بالضبط ، قلت له : اشرح لي ، قال : إذا في موجة حر شديد
كما يعينها غير المؤمن ، إذا في موجة غلاء عالية جداً ، يعانها المؤمن ، أين سعادته ؟ لا يفترق
عن غيره بشيء ، هكذا قال ، قلت له ، لكن أنا أتيت له بحالة نادرة :

واحد عنده ثمانية أولاد بعني بالعملة
السورية معاشه خمسة آلاف لا يكفوه
ثمان خبز ثمانية أولاد ، وراتبه خمسة
آلاف ، وساكن بيت أجرة ، وعليه دعوى
إخلاء ، قال لي : وضعه صعب كثير ،



المؤمن حياته مليئة بالمتاعب لكنه صابر ليحظى بوعده الله

قلت له : هذا الشخص له عم يملك خمس مئة مليون ، وما عنده أولاد ، ومات بحادث ، بثانية واحدة ، هذا الإنسان ، المتعب ، الفقير فقر متقع ، تحول إليه خمس مئة مليون إلا أن القوانين والأنظمة والروتين لا يسمح أن يقبض قرش قبل سنة ، وثائق ، وحرص إرث ، وبراءة ذمة ، لماذا في هذا العام هو أسعد إنسان ؟ ما تمكن أن يأكل لقمة زائدة ، ولا أن يشتري معطف لكن دخل بالوعد ، الآن اسمع القرآن :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ﴾

[سور القصص الآية : ٦١]

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق للمؤمنين .

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ

الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سور القصص الآية : ٦١]

تكفي الآية ، فالمؤمن في عنده متاع ، وبنيت الحياة على المتاع .

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سور المؤمنين الآية : ٣٠]

الدنيا دار ابتلاء :

الأصل أن الدنيا دار ابتلاء ، صدقوا ولا أبالغ في خطبة للنبي قصيرة جداً ، أما فيها ملامح رائعة ، قال :

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء))

يعني لحكمة أرادها الله ، ينجح بزواجه ، لا ينجح بأولاده ، ينجح بأولاده لا تعجبه زوجته أولاده بشكل جيد ، وزوجته كذلك بعمله في متاع كبيرة ، بعمله جيد ، وبيته جيد ، في بصحته في مشاكل ، هكذا حكمة الله عز وجل .

﴿ أَوَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾



لذلك لما الإمام الشافعي سُئل ندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ، فقال : لن تمكن قبل أن تتبلى .

لما أنت توطن نفسك أن الحياة دار ابتلاء ليست دار جزاء ، لما توطن نفسك الأصل فيها ابتلاء تستقبل هذا الابتلاء بنفس راضية ، علة وجودنا ، أنا

ابتلاء الإنسان منذ خلقه

أقول لما أنت تعتقد يقيناً من خلال القرآن الكريم والسنة أن هذه الدنيا دار ابتلاء ، تقبل أي ابتلاء ، تستوعبه ، تحتويه ، تقبله تتعاون معه ، أقول لكم هذه الكلمة : ليست البطولة ألا تبنتلي ، مستحيل . ندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ، فقال : الإمام الشافعي : لن تمكن قبل أن تبنتلي . لكن البطولة أن تتجح بالابتلاء ، أنت مبتلى بماذا ؟ دقق ، أنت مبتلى بكل ما أعطاك ومبتلى بكل ما زوي عنك ، بكل شيء ، أعطاك صحة ، هل استخدمت هذه الصحة في طاعة الله أم في معصية الله ، أعطاك زوجة ، هل دلتها على الله ، أم دفعتها أن تبرز كل مفاتها في الطريق أعطاك أولاد هل ربيتهم تربية صالحة ، أم عطيتهم سؤالهم دون أن تحاسبهم ، ففسقوا وفجروا أعطاك منصب رفيع ، هل أقمت بهذا المنصب وفق منهج الله ، أم حابيت القوي ، وسحقت الضعيف ؟

ممكن

أي شيء أعطاك الله إياه ، أعطاك سيمة حسنة ، أعطاك مال ، أعطاك صحة أعطاك منصب ، أي شيء الله أعطاك إياه أنت ممتحن به ، أنت ممتحن فيما أعطاك ، ممتحن فيما زوي عنك ، والله في دعاء أنا لا أصدق يعني دققته :



منصبك هو ابتلاء لك فهل أقمت به وفق منهج الله

((اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب ، وما زويت عني ما أحب))

يعني بحب بيت ملك ما صلحوا ، بيته بالأجرة وفي قوانين صعبة ، والمستأجر ضعيف وكل فترة بدو ينقل بيته الى بيت ثاني ، هيك وضعه ، أنت مبتلى بعدم تملك بيت ، أو مبتلى بتملك بيت رائع جداً ، كل ما أجاك ضيف بتفرجيه بيت كلو ، تعا شوف أربع مئة وخمسين متر ، حرقت قلبه هذا موظف ، يعني شو اجاك من فرجة البيت ، أيام إنسان له عمل لا معنى له إطلاقاً ، في معنى سيء جداً معنى استعلاء ، تواضع ، يعني أنا بقول الإنسان كل ما تواضع يعني يكون أكبر بكثير عند الله عز وجل .

يعني قال سيدنا عمر ماشي بالمسجد ، يبدو أنه بالليل ، داس رجل أحدهم ، قال له : أعمى أنت ؟ قال له : لا ، واحد صحيان ، قال له : سيدي ؟! سألني فأجبتة أين المشكلة أمير المؤمنين ! قال له : سألني فأجبتة ، خلص ، في تواضع .

﴿ أَوِإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾



هذه أصل في الحياة ، وطن نفسك في مشكلة ، المشكلة سبب نجاحك في الآخرة .

مين يمتحن سيارة بالنزلة ؟ يكون أحق ، مين بدو يمتحن المحرك بالنزلة ؟ أي بدون محرك بتمشي ، الامتحان بالطلعة، والطلعة حادة فيها خمس ركاب، والمستودع مليون ماشي على المئة بالطلعة معاناتها قوية جداً.

ما في امتحان مع اليسر ، في امتحان بالعسر ، أنا أقول كلمة والله ليست تشاؤماً ما بينجو إنسان على الإطلاق من أن يبتلى الله قال :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْتَلُوكُمْ ﴾

[سورة الملك الآية : ١]

وهذه لام التعليل ، يعني علة وجودكم في الدنيا الابتلاء ، والبطولة أن تتجح ، يعني قد تأتي مصيبة مجرد أن تقول يا رب لك الحمد ، نجحت ، أخذت علامة تامة ، لا يهم أن المصيبة زعجتك ، الانزعاج والآلام التي تنتج عن المصائب لا تلغي الصبر ، أنت بشر ، النبي الكريم قال :

((اللهم إني بشر أرى كما يرضى البشر ، واغضب كما يغضب البشر))

في نص آخر :

((أوذيت في الله وما يؤذي أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاث من بين

يوم وليلة ومالي طعام إلا ما وراه إبط بلال))

[أخرجه الترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن أنس بن مالك]

هذا سيد الخلق وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم لو أن النبي لم يبتلى ، ودعانا إلى الصبر في كلام مزعج ، أنت ما ذقت الصبر، ما ذقت البلاء ، لو ذقته لما صبرت ، أذقه الله وخاف .

((خفت في الله وما خاف أحد مثلي ،

وأوذيت في الله وما أوذيت أحد مثلي ،

ومضى علي ثلاثون يوماً لم يدخل

جوفي إلا ما يواريه إبط بلال))



فأنت هذه المعاني تعطيك قوة تحمل ، قوة صبر ، هذه المعاني تفهم حكمة وجودي في الدنيا ، إنسان تأتية الدنيا رائعة ، بيت ، وزوجة رائعة ، وأولاد وبنات ، وسيارتين ثلاثة ، وكل جمعة بمكان ، وولائم ، ومطاعم ، ولقاءات ، فقط ، عالجنة فوراً ؟ هذا لا يصح ، لا بد من الابتلاء ، والله عز وجل بكل مكان في ابتلاء .

كنت مرة في أمريكا ، دخلت لبيت دعاني طبيب ، أنا ما مر معي بيت بهذا الشكل ارتفاع السقف حوالي عشرين متر ، أريح مثل هنا ، مسبح دولي مسخن ، داخل البيت ، بيت كبير كثير صاحبه طبيب دخله فلكي ، طبيب قاعد قعدة مو طبيعية ، المفروض يكون في ترحيب أكثر في ح بشاشة أكثر ، فسألت بعد ما غادرت ، قال : في معه احتشاء بالقلب ، وهو طبيب قلب .

أين ما ذهب في صيدلية عند الله ، أين ما ذهب ، في بالبلاد النامية بجوز الأمن والمخابرات والاعتقالات هذه دواء ، ببلاد فيها ديمقراطية رائعة جداً في شغلة ثانية ، أين ما ذهب في ابتلاء ، وكل بلد له صيدلية معينة ، لا تتفد من ابتلاء .



فلذلك أخوانا الكرام ؛ الإنسان يستقيم ، والله عز وجل ، الابتلاء مو دائم ، الابتلاء موقت حتى تتجح فيه ، تتجح فيه الله يريحك ، في راحة في الدنيا ، في راحة لكن بعد ابتلاء ، بعد نجاح ، لكن بس وطن نفسك تقبل هذه المصيبة ، تقبل هذا الدخل القليل ، وأنت فيك تأخذ دخل كبير بتقدر ، لكنك تخاف الله ، الخوف من الله ، الإنسان لما يخاف

الله ، يكون أعقل واحد ، والله عز وجل أعطاك إمكانية ما تخاف منه ، بتكون بمركز قوي ، وفي موافقة تتفع صاحبها نفعاً قال له : أريد مئة ألف ، يدفعها له ، وضع في جيبه مئة ألف ، تستطيع بأي مكان تجمع مال من حرام يأتي المؤمن يخاف من الله .

الآن في تعليق دقيق : بكل مجتمع ، بكل مكان في قواعد ، والأصح أن أقول مقولات تنتزع من التعامل في هذا المجتمع ، نأتي بمثل :

بمجتمع فاسد إذا ما تقدم رشوة لا تأخذ موافقة ، ممكن ، هذه موجودة كثير ،



فهذا البلد في مجموعة مقولات ، مستنبطة من حركة الحياة ، هي غير صحيحة لكن مستنبطة ، إذا ما بتحاكي فلان لا تأخذ موافقة ، فلان إذا ما بتقدم طلباته ما بتأخذ موافقة ، القواعد مستنبطة من حركة الحياة وهذه القواعد تتناقض مع منهج الله ، يأتي المؤمن ، الله غالي عليه كثير ، يخاف منه كثير يرفضها القواعد ، ولما رفضها توقع أنه ما في مشروع ، ما في موافقة ، لكن الله أعلى عليه من الموافقة قام رفضها ، الشيء الذي يبكي محبة الله ، الآن يخضعك الله لقانون آخر اسمه قانون العناية الإلهية لذلك :

((ما ترك عيد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودينه))

أنا أقول كلمة : زوال الكون أهون على الله من ألا تحقق هذه المقولة .

((ما ترك عيد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودينه))

لا تخاف ، وقف مع الحق ولا تخاف ، لكن غير معقول تأتي المكافأة بعد دقيقة ، بعد دقيقة لا تحتاج مجاهدة ، لو قلنا لك من يدفع ألف يأخذ مليون ، ترى أمامك طابور مئة كيلو متر تدفع ألف ولا يأتيك شيء ، لمرحلة ، إلى أن يثبت صدقك ، فيأتي العطاء متأخر ، التأخر هو الامتحان ، تختار الحق ، الحق ، هذه الوظيفة دخلها محدود ، وفي وظيفة ثانية ، لكن لا ترضي الله ، طبيعة الوظيفة فيها معصية ، فأنت اخترت وظيفة دخلها محدود ، أنت عانيت من الدخل المحدود ، لكن أنت مع الله عز وجل ، أنت مقابل هذا الدخل المحدود كنت مع الله ، قريب منه وموصول ، ومع غير الدخل المحدود الحرام ، انحجبت عن الله عز وجل ، أنا بالنسبة لي لا أرى عقاب للمؤمن يفوق أن تحجب عن الله .

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين الآية: ١٥]



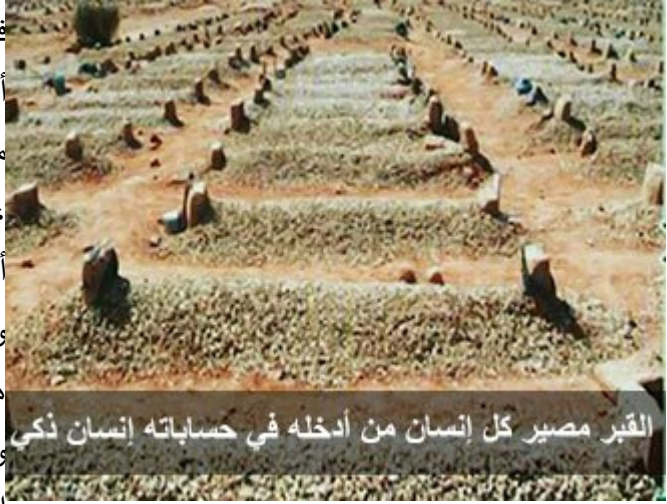
أخوانا الكرام ؛ في وظائف مبنية على إذلال الناس ، أو على أكل أموالهم ، أو على إزعاجهم ، هيك وظائفهم طبيعتا ، فيأتي المؤمن يختار وظيفة فيها عطاء ، التعليم فيها عطاء الوظيفة أي معلم

دخله محدود ماذا يفعل ؟ يعلم طلاب ، خمسة وخمسين طالب يلقنهن المبادئ الأخلاقية مبادئ الدين بصدقه وكماله يقتنعهم بالدين ، هذا عمل عظيم ، أنا أضرب مثل بسيط وواضح : مطعم صغير عادي ، طبعاً لا يقدم مشروب ، ودخله محدود جداً ، وصاحب المطعم ماشي الحال الدخل يغطي النفقات ، في مطعم خمس نجوم ، في خمور ، والدخل فلكي ، صاحب الماعم ، ساكن بأرقى بناية ، بأرقى بيت ، بأرقى مكان ، سيارتين ثلاثة ، لكن في آخرة ، أنا أنصح نصيحة لوجه الله : أي شيء في الدنيا اربطه بالآخرة ، تعرف قيمته ، إذا في مال حرام :

((عبي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا وأنا

الحي الذي لا يموت))

في بالبرمجة العصبية اللغوية قاعدة أعجبتني : ابدأ من النهاية ، النهاية في موت النهاية قبر ، بيت ثمانية وصالون ، أربعمئة وخمسين متر ، سيارة من أرقى السيارات ، في موت بعد منها ، وهذا المشي بالجنزة موعظة كبيرة جداً ، هذا الميت كان إنسان ، عنده بيت ، وعنده أهل وعنده أولاد ، وعنده مكانة اجتماعيه ، وعنده حجم مالي كبير ،



القبر مصير كل إنسان من أدخله في حساباته إنسان ذكي

عالقير ، هذا القبر مصير كل إنسان إذا الواحد أدخله في حساباته يكون ذكي جداً .

في أحد الصالحين عمر قبر ، وسط بيته ، كل يوم خميس يضجع فيه ، يتلو قوله تعالى :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنین الآية : ٩٩ . ١٠٠]

فيقول لنفسه : قومي لقد أرجعناكي ، فأدخل الموت بحساباتك ، من السنة أن تكثر من الموت ، ذكر الموت من السنة ، أعد بييتك ، أنا كلما دخلت إلى بيتي مو دائم هذا ، هذا مثوى موقت ، لأنه يكتبوا على النعوة : وسيشيع إلى مثواه الأخير ، بكل نعوة هكذا ، مثوى موقت فبطولتك أن تراه موقتاً وأن تعد المثوى الأخير إعداد راقى .

والحمد لله رب العالمين